

أضواء على التنصير والمنصرين في الجزائر

(1892 - 1830)

أ/ حميد قريتي

قسم التاريخ جامعة الجزائر 2

اهتمت السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر منذ البداية بتوظيف "الدين" كسند ثقافي يساهم في تسريع الهيمنة وضمائها، والحد من شدة الرفض الشعبي للوجود الأجنبي المخالف لغة ودينا، وذلك انطلاقاً من تحييد العاطفة الدينية و تأثيرها في بناء مخيال الإنسان الجزائري، وكان التنصير بمثابة مشروع دولة وأولوية استراتيجية في التعامل مع كافة المستعمرات الفرنسية التي يدين سكانها بالإسلام ولعل في هذا دليلاً على الطبيعة الحقيقية للاستعمار الذي هو فعل يزاوج بين الهيمنة الثقافية *La déculturation* والهيمنة العسكرية، وهي طبيعة تميل بعض المقاربات الأيديولوجية والأدبية لتاريخنا إلى تجاهلها وتشويهها والاكتفاء بتضخيم الأبعاد المادية للحملة الاستعمارية الفرنسية.

سنحاول في هذا المقال إلقاء الضوء على مختلف الترتيبات الإدارية والقانونية لتجسيد هذا المشروع التنصيري في الجزائر؟ وكذا الميادين والوسائل التي سخرت لهذا الغرض؟

بعد الاحتلال العسكري الفرنسي بقيادة مهزومي معركة "واترلو Water Loo" وعلى رأسهم "دو بورمون De Bourmont"، تم الترتيب للمشروع الديني والفكري بواسطة رجال الكنيسة، من خلال هدم وتحويل أغلب كبريات المساجد إلى كنائس، واحتلال مئات القرى التي أسست بها كنائس، وهذا بدعم من السلطة الاستعمارية، من أجل استرجاع مجد الكنيسة الإفريقية، التي أدى بها القديس أوغسطين دوراً هاماً، وهو ما دعت إليه أغلب الأطروحات الفرنسية الاستعمارية. و قد لجأت الإدارة الفرنسية في بداية مشروعها التنصيري، بعد أن يئست من القضاء على المؤسسات الإسلامية، التوجه نحو إيجاد سياسة جديدة لاستدراج موجهي المجتمع الإسلامي من الأئمة والمرابطين، أو ما تسميهم بالإخوان، وفي هذا يقول

"لويس رين": لم نستطع القضاء على شدة ورع المسلمين الجزائريين و تمسكهم بدينهم الإسلامي... ولاشيء لدينا نستعمله، مثل الأئمة في الأرياف، والمرابطين المحليين وحتى الإخوان... يجب مراقبة هؤلاء واستدراجهم تدريجيا لتحويل المجتمع الجزائري المسلم⁽¹⁾.

وكان من مظاهر النشاطات التنصيرية الأخرى: تسهيل ممارسة الشعائر المسيحية، وتقديم تسهيلات للإرساليات المسيحية للاستقرار بالجزائر تحت أشكال مختلفة كهيئات تعليمية وجمعيات خيرية، كما عمدت السلطات الفرنسية إلى محاولة إبطال شرعية المواسم الإسلامية - الحج-، لأنه كان يمثل مظهرا من مظاهر وحدة المسلمين، وكذا لتجنب اتصال الجزائريين بإخوانهم بالمشرق الذين كانت تصفهم بالخرضين، ولم تقف الإدارة الفرنسية عند هذا الحد بل عمدت في مرحلة من مراحل مشروعها التنصيري إلى تنصير الأطفال لتثبيت المسيحية، كما استغلت حتى المرضى في المستشفيات، وعمدت إلى إغراء الخارجين عن دينهم الإسلامي بمكاسب مادية، وشمل هذا المشروع أيضا ميدان التعليم من خلال مقرراته، والدعم المادي إلى المتدربين المتمين إلى المدارس ذات الصبغة المسيحية، بالإضافة إلى السعي لإحداث شرخ في المجتمع الجزائري تمثل في محاولة النفوذ في منطقة القبائل ونشر خرافة أن سكان القبائل كانوا مسيحيين.

ولفهم المشروع التنصيري يمكن التمييز بين ثلاث فترات مر بها هذا المشروع:

- **الفترة الأولى:** تمتد من سنة 1830م إلى سنة 1845م وقد تميزت بمجيء عدد كبير من الجمعيات التنصيرية وتأسيس الأسقفية بالجزائر .

- **الفترة الثانية:** تمتد من سنة 1846م إلى سنة 1866م وقد تميزت بتعيين الأسقف "بافي" ومجيء الجمعيات التنصيرية إلى الجزائر.

- **الفترة الثالثة:** وهي الفترة الأكثر أهمية لأنها كانت تعتبر بمثابة تنمة الاحتلال العسكري، والتي تبدأ من سنة 1867 أي منذ تعيين الكاردينال "لافيجري" إلى غاية وفاته في 26 نوفمبر 1892م.

تم إرسال عدة بعثات تنصيرية مع الجيش العسكري خلال الحملة الفرنسية على الجزائر لاحتلال الأرض وخدمة المسيحية: والبداية الفعلية للعمل التنصيري كانت مع صدور الأمر الملكي بتاريخ 10 نوفمبر 1830م والذي تضمن تعيين مرشد ديني على رأس كل فرقة عسكرية، فكانت على الشكل التالي:

ثلاثة مرشدين بالجزائر العاصمة وواحد بوهران وآخر بعنابة، فالمرشدون الذين عينوا بالجزائر العاصمة هم: الأب "سبيتز Spitz" الذي كلف بحماية الجزائر العاصمة والمستشفى العسكري بباب عزون، والأب "مونترا Montera" الذي كلف بمسشفى Solpetriere، بالإضافة إلى الأب "ديلارو Delarue" المكلف بمسشفى الداوي.⁽²⁾ وتمتع هؤلاء بتريخيات تمكنهم من النشاط في أوساط الأهالي، وفي 19 نوفمبر 1830م تم تعيين الأب "كولين Collin" بصورة سريعة بعد مفاوضات مع البابا في روما لكن هذا الأخير تم فصله عن المهام بعد تصرفاته التي لم تحم السير الحسن للنشاط التنصيري، وتم تعيين الأب : -مولر- Muller بمساعدة مجموعة من المنصرين إلا أن هذا الأخير تعرض لمضايقات من طرف العسكريين، وذلك بحجة الخوف من ترمد الأهالي إزاء النشاط الديني المتزايد للمنصرين.⁽³⁾

وإلى جانب هؤلاء المرشدين الرسميين (الموفدين من قبل السلطة البابوية)، عرفت سنة 1835 وفود فرقة "اللزاريين Les Lazaristes"⁽⁴⁾، وبجيء ثلاث أخوات منخرطات في جمعية أخوات القديس جوزيف في نفس السنة، وموجهين من طرف "إيميلي فيالار Emilie Vialar" (هي أخت أكبر معمر في الجزائر فيالار "Vialar").⁽⁵⁾ وهي التي نشطت في البداية في المستشفى العسكري بالقلعة وقامت بإنشاء مدرسة لتعليم البنات، بالإضافة إلى مركز صحي وملجأ للأيتام، كما نشطت بمدينة عنابة والجزائر العاصمة، لكنها اضطرت إلى مغادرة الجزائر نحو تونس بعد مضايقات من طرف الأسقف "دوبوش Dupuch"⁽⁶⁾.

I- التنصير في عهد الأسقف دوبوش Dupuch (1838م-1846م):

وصل الأسقف "دوبوش" إلى الجزائر بتاريخ 31 ديسمبر 1838م، بمباركة من طرف البابا غريغوار 16، واستقر بالجزائر العاصمة أربعة من الرهبان، وعمل هذا الأسقف كل ما في وسعه من أجل إنجاح مشروع التنصير، حيث كان يقدم إجراءات مالية إلى كل من يخدم نشر المسيحية فكان يمنح 20 فرنكاً إلى كل من يحضر الصلاة المسيحية ويقدم 50 فرنكاً إلى كل من يتحول إلى الديانة المسيحية كما رخصت له السلطة الفرنسية استعمال أموال الخزينة وهذا ما سمح له بفتح مدرسة إكليريكية، كما سُمح لجمعية الترابيست (Les Trapistes)⁽⁷⁾ بالتحجىء إلى الجزائر هذه الأخيرة التي تلقت الدعم أيضاً من الحاكم العام "بيجو Bugeaud" وما يؤكد هذا الدعم ما كتبه إلى هؤلاء: «لكم الحق أن تطلبوا مني، وارد عليكم بقبول طلبكم فوراً، من اجل تأسيس جمعيتكم بالجزائر لأنني أرى أن الاستعمار لا يمكن له الاستمرار دون تنظيم

ونشاط من طرف الجمعيات الدينية بدعم من النظام العسكري، وبهذا تكون هناك علاقات متكافئة بين رجل الكنيسة والسلطة، كل منهما يقبل التعاون والعمل بالصرامة والصبر والتفاهم معاً، ومساعدتي وحمائتي لا تترككم أبداً»⁽⁸⁾، واستقرت هذه الجمعية بمنطقة سطاوالي بصفة نهائية سنة 1843م، وهي الفرقة التي كانت تنشط في السابق في شمال فرنسا، وبعد مجيئها إلى الجزائر مُنحت لها أراضي بمنطقة سطاوالي وصلت مساحتها إلى 1020 هكتار⁽⁹⁾. متخذة النشاط الفلاحي وسيلة من وسائل التأثير على الأهالي، وهي موجهة لهدف واحد وهو خدمة الاستعمار الفرنسي في الجزائر.

ومن نشاطات هذه الفرقة تأسيس دير بمنطقة سطاوالي بتاريخ 14 سبتمبر 1843م تحت إدارة الأب "رجيس Reges"⁽¹⁰⁾.

وقد حضر حفل التأسيس الجنرال "بيجو Bugeaud" ومدير الشؤون الداخلية "غيبو Guyot" والأسقف "دوبوش Dupuch"⁽¹¹⁾.

ومن الجمعيات التنصيرية الأخرى التي وفدت إلى الجزائر في عهد الأسقف "دوبوش" ما يلي:

I - **جمعية الآباء اليسوعيين "les jésuites"**⁽¹²⁾: الذين استقروا بالجزائر سنة 1840م، ونشطت هذه الجمعية بمراكز الاعتقال وديار الأيتام حيث قام أعضاؤها بتأسيس دار للأيتام سنة 1842م بين عكنون، كما نشطت بمدينة قسنطينة بالمراكز الصحية والمدارس وامتد نشاطها إلى مدينة وهران في نهاية سنة 1839م.

2- **الراهبات الثالثيات "les religieuses trinitaires":**

وفدت هذه الجمعية التنصيرية إلى الجزائر بتاريخ 26 نوفمبر 1840م، و استقر أعضاؤها بوهران، برفقة السيد "كروزات Creuzat"⁽¹³⁾ مرشد الثالثيات، وفي شهر مارس 1841م، قاموا بفتح ثلاث مدارس للتعليم المجاني الموجه إلى حوالي 150 طفلاً، وفي سنة 1849م، قامت بتسيير المدارس البلدية بمستغانم، وبعد صدور مرسوم 22 مارس 1852م، الذي سمح للجمعيات التنصيرية بتقديم التعليم بالمدارس البلدية، قامت هذه الجمعية بإدارة المدارس البلدية في المدن والقرى إلى غاية حدود المغرب الأقصى في كل من المدن التالية: تيارت، سعيدة، مغنية... الخ

وبعد صدور مرسوم 30 أكتوبر 1886م⁽¹⁴⁾ الذي يمنح أعضاء الجمعيات التصيرية من تقديم التعليم في المدارس العمومية، قامت هذه الجمعية بفتح مدارس حرة في القرى التابعة لمدينة وهران، حيث وظفت 300 راهبة ثالوثية في التعليم، وكانت تقدم التعليم إلى حوالي 2000 طفل، كما قامت هذه الجمعية في سنة 1849م بفتح مستشفى للنساء والأطفال وملحقات تابعة له على مستوى وهران، كما قدمت خدمات في مستشفيات عسكرية بعد استدعائها من طرف الجنرال "بيليسيبي Pélissier" حيث أشرف أعضاؤها على المستشفى العسكري لوهران، والمستشفى العسكري لسيدى بلعباس سنة 1861م، كما قدموا الخدمات الصحية في المستشفيات المدنية في كل من مستشفى غليزان، وعين تموشنت، ومستشفى "سان دونيس" بسيق (معسكر)، وإلى جانب هذا قاموا بإنشاء مركز لليتامى سنة 1844م⁽¹⁵⁾.

3- أخوات العقيدة المسيحية "Les sœurs de la doctrine chrétienne"⁽¹⁶⁾:

وفد أعضاء هذه الجمعية إلى الجزائر العاصمة بتاريخ 21 ماي 1841م بدعوة من المطران "دوبوش" ومن أعضاء هذه الجمعية: الأخت "كولان Collin"، "بن جامان تيسران Benjamin Tisserand"، "روني فارغ René Vergue"، "إدموندثيوكور Edmond Thiaucauret"، "ثيراز Therez"، وعلى رأسهم "لويز Louise"، اشتغلن في ميدان التعليم والصحة، واستقرت بعدها هذه الجمعية في كل من عنابة وقسنطينة، وسكيكدة، وكانت تتحكم في أكثر من 18 مؤسسة بين مدارس ومراكز للأيتام ومستشفيات.⁽¹⁷⁾

4- راهبات الباستور الطيب "les religieuses du bon Pasteur"⁽¹⁸⁾:

قامت بتأسيس ملجأ الباستور الطيب بالجزائر العاصمة سنة 1843م، كما نشطت في دير الأبيار الذي كان يضم أكثر من 19 راهبة سنة 1846م، وقد حظيت هذه الجمعية بعناية كبيرة من طرف الأسقف "بافي" الذي خلف الأسقف "دوبوش" وهو ما أكد عليه عند زيارته لدير الأبيار بتاريخ 10 جويلية 1846م بقوله: « جمعية باستور الطيب تحتل دائما المرتبة الأولى في قلبي قبل المؤسسات الأخرى »⁽¹⁹⁾. وفي فترته دائما أنشأت هذه الجمعية ديرا بمسرخين (وهران)، وفي نفس السنة أنشأت ديراً آخرًا بقسنطينة.

5- راهبات القلب المقدس "les religieuses du sacré cœur"⁽²⁰⁾:

استقرت هذه الجمعية بالجزائر العاصمة حيث قامت بتأسيس مدرسة خاصة لبنات ضباط الاحتلال، ومدرسة أخرى مجانية موجهة لتعليم البنات الفقيرات وبنات الضواحي، و بنظام داخلي تضم ما يصل إلى 90 طفلاً، كان ذلك في سنة 1842م.⁽²¹⁾

6- إخوان القديس "جوزيف دي مانس les frères de ST joseph duMains"⁽²²⁾:

استقروا بعنابة وسكيكدة ووهران سنة 1843م-1844م، وتولوا إدارة المدارس البلدية لهذه المدن، والتي كان يصل عدد التلاميذ بها إلى 270 تلميذاً.⁽²³⁾ ويبدو أن ارتفاع عدد الجمعيات التنصيرية التي وفدت إلى الجزائر في عهد الأسقف "دوبوش" يعود إلى عدة عوامل منها:

- مجيء الفرصة التي كان ينتظرها المنصرون للعودة إلى الجزائر وشمال إفريقيا عموماً، وهي دخول الاستعمار الفرنسي للجزائر لتبليغ تعاليم الكنيسة للمسلمين، بعدما فشلت في تحقيق بعض أهدافها قبل الاحتلال.

- الروح الصليبية الكبيرة التي كان يتصف بها المطران "دوبوش" ونواياه التنصيرية في الجزائر، حيث كان يرى أن مشروع التنصير لا يتحقق إلا بوجود أعداد كبيرة من الرجال والنساء المنصرين.

- ارتفاع عدد المستوطنين الأوروبيين، وتعدد جنسياتهم، وهو ما يستدعي وجود جمعيات تنصيرية تشرف على الشعائر الدينية المسيحية وتربية الأطفال تربية مسيحية.

- طبيعة الاستعمار الفرنسي الذي لا يكتفي بالنهب الاقتصادي فقط، بل يلجأ إلى توفير كل الوسائل والإمكانات من أجل دمج الجزائر بفرنسا فكرياً ودينياً من خلال نشر الثقافة الفرنسية و منها نشر الديانة المسيحية، وذلك بالقضاء على اللغة العربية والدين الإسلامي، ولتشرع الوجود الاستعماري في الجزائر، لجأت الإدارة الفرنسية إلى محاولة غرس مفاهيم جديدة منها أن وجود فرنسا كان بدافع نشر المدنية والحضارة، ومن وسائلها في ذلك تكثيف الإرساليات التنصيرية⁽²⁴⁾.

- الشعور بضرورة تنظيم الديانة المسيحية في الجزائر، خاصة بعد وصف الأمير عبد القادر لممثلي الجهاز العسكري الفرنسي أثناء معاهدة "تافنة" سنة 1837م بأنهم لا يمثلون أي دين (25).

كل هذه العوامل أدت إلى ضرورة دعوة عدد كبير من الجمعيات التنصيرية إلى الجزائر، وذلك لتكون سندا آخر لتثبيت الوجود الفرنسي في الجزائر، من خلال محاولة القضاء على كل عوامل تماسك المجتمع الأهلي المتمثلة في مقومات الشخصية الجزائرية وعلى رأسها الدين الإسلامي واللغة العربية التي كانت السلطة الفرنسية ترى فيهما أحد أقوى أسباب مقاومة الشعب الجزائري للسياسة الفرنسية، وبالقضاء على هذين المقومين الأساسيين يمكن خلق فئة محلية تابعة للحكم الفرنسي.

تنظيم المؤسسات المسيحية في عهد الأسقف "دوبوش" :

أ- المقاطعة الأسقفية للجزائر العاصمة (26)

كان تنظيم المؤسسات المسيحية في المقاطعة الأسقفية للجزائر العاصمة وأجزاء من إقليم التيطري خلال الفترة ما بين 1839م-1846م كما يلي :

مقاطعة الجزائر	
إقليم الجزائر العاصمة وأجزاء من إقليم التيطري	
حالة الأسقفية من سنة 1839م إلى غاية 1845م	
الجزائر العاصمة:	
خورنية سان فيليب: "الراهب مونتييرا Montérial"، نائبه: غيستالتر G'stalter	
مستشفى الداى : المرشد الديني الأب بورغاد " Bourgade "	
مندوبو أسقفية الجزائر العاصمة: الآباء: "روديل Roudil" و "روسلو Rosselo"	
خورنيات معترف بها من طرف الإدارة الفرنسية سنة 1845م	خورنيات غير معترف بها، ومدعمة من طرف الأسقف "دوبوش" سنة 1845م
- خورنية سان فيليب	- خورنية حسين داي بالقبه : تسير من طرف اللزاريين.
- خورنية الأبيار " سيدتنا مونت كارمل N.D du	

<p>- خورنية ببوزريعة تسير من طرف سكرتير أسقفية الجزائر العاصمة.</p> <p>- خورنيات أخرى في كل من : الشراقة، العاشور، أولاد فايت .</p> <p>- خورنية سان فاردناند "Saint Fedinand"</p> <p>- خورنية المعاملة، زرالدة، بني مراد، فوكة، الدواودة، بابا حسن، خرايسية، أولاد مندبل، القرى المجاورة، موزاية، ثنية الحد، دلس، القصبية بالجزائر العاصمة : خورنية سان كروا "Saint Croix" تسير من طرف تيسي "Tissier"</p> <p>- المستشفى المدني: تسير من طرف المرشد الديني: لاسار " Lasser "</p> <p>- مستشفى سالباتريار تسير من طرف الراهب مارتن "Martin"</p> <p>- المرشد الديني للإسبان: بيكازو "Picazo"</p> <p>- المرشد الديني للماطيين: كاميلري "Camilleri"</p> <p>- المرشد الديني لقتصلية إسباين: دومانوزو "Domanozo"</p>	<p>"Legendre" mont carmel "الراهب ليچوندر"</p> <p>- خورنية بئر خادم: "سانت فيلومان Sainte Philomene" الراهب روسلو " Rosselo "</p> <p>- خورنية درارية: سانت أوجين Saint Eugene الراهب ليستيرجي "Lesturgie"</p> <p>- خورنية دالي إبراهيم: سانتباريتيوفيليسي " Sainte Perpetue-Et- Felecite" الراهب ديليسل "Delisle" وخورنية سانت إميلي- سانت ماري الراهب : ألومبار "Alembert"</p> <p>- خورنية الدويرة: سان أنطوان "Saint-Antoine" الراهب: بونار "Bonnard"</p> <p>- خورنية القليعة: سان سيمون-جود " Saint Simon-Et-Jude" الراهب: تريولولايمان "Triolle De Leymain"</p> <p>- خورنية بوفاريك: سانفاردناند " Saint Ferdinand" الراهب : كناي "Kney"</p> <p>- خورنية البليدة: سان شارل "Saint Charles" الراهب: أودور "Audure"</p> <p>- خورنية المدينة: سان هنري "Saint Henri" الراهب " دارتوا "D'arthois"</p> <p>- خورنية مليانة: سان فيلجونس " Saint Filgence" الراهب: روتورز "Retours"</p> <p>- خورنية شرشال: سان بول "sainpaul" الراهب: ديرو "Duraux"</p> <p>- خورنية تنس: سان فانساندوبول " Saint Vincent De Paul" الراهب: دالكو "Dalclos"</p>
--	--

ب- المقاطعة الأسقفية لوهران خلال سنة 1845م (27)

كان تنظيم المؤسسات المسيحية في هذه المقاطعة كالتالي:

المقاطعة الأسقفية لوهران	
الحالة الدينية (المسيحية) خلال سنة 1845م	
خورنيات غير معترف بها، لكن تمارس فيها الطقوس المسيحية	خورنيات معترف بها من طرف الإدارة الفرنسية
<p>- خورنية المرسى الكبير "مارتيناز "Martinez" بالإضافة إلى خورنيات أخرى:</p> <p>- خورنية السانية "Saniah" - خورنية مازجران "Mazagran" - خورنية ميسرغين "Misserghin" - خورنية أرزيو "Arzew" - خورنية تبارت "Tiaret" - خورنية سعيدة "Saida" - خورنية جمامح الغزوات (التمور) "Nemours"</p>	<p>- وهران: سان لويس "Saint Louis" تسير من طرف الراهب "Drouet"، ونوابه: "سونس Sans"، "رفائيل Raphael"، "باسكالين Pascalin" أما بالنسبة لخورنية سان أندري "Saint Andre" فتسير من طرف الراهب: لاكاريار "Lacariere" و مساعده: كاراس "Cares" - مستغام: خورنية سان حون بابتيست "Saint Jean Baptist" تسير من طرف الراهب " غارنيي "Garnier" - معسكر: خورنية سان بيار "Saint Pierre" تسير من طرف الراهب: كروزات "Creuzat" - تلمسان: خورنية سان ميشال "Saint Michel" تسير من طرف الراهب بلوز "Bluze"</p>

ج- المقاطعة الأسقفية لقسنطينة: (28)

كان تنظيمها خلال الفترة ما بين 1839م - 1945م كما يلي:

مقاطعة قسنطينة	
الحلة الدينية (المسيحية) ما بين (1839م - 1845م)	
1839م	
<p>- عنابة: سان فليب " saint philippe " تسير من طرف : بونفوي " Banvoy "</p> <p>ونائبه: بوير " Boyer " الذي يسير أيضا حورنية القالة.</p> <p>- قسنطينة: سيدتنا السبعة آلام "N.D-Des-Sept-Douleurs"، التي كانت تسير من طرف الراهب: سوشي "sauchet"، وفي سنة كانت تسير من طرف الراهب ريغو "Riego" ونائبه: أوبرومبالسكي "Obrompalski"</p>	
1845م	1845م
<p>حورنيات غير معترف بها من طرف الإدارة الفرنسية لكن تمارس بها الطقوس المسيحية:</p> <p>- حورنية سطورا " Stora " وحورنية مستشفى سكيكدة اللتان أغلقتا بسبب نقص التموين المالي .</p> <p>بالإضافة إلى الحورنيات الموجودة بالمدن المجاورة لمدينة سكيكدة منها:</p> <p>- الصفصاف Saf-Saf</p> <p>- العروش Arrouch</p> <p>- سمودون Smeudon</p> <p>- باتنة Bathna</p> <p>- بسكرة BISKRA</p>	<p>حورنيات معترف بها من طرف الإدارة الفرنسية:</p> <p>- بجاية: سان جوزيف "Saint Joseph "</p> <p>تسير من طرف " آرنو " Arnaud "</p> <p>- جيعل: سان سيمون وجود "Saint-</p> <p>Simon-Et-Jude " تسير من طرف:ماريكو " Marico "</p> <p>- سكيكدة:القلب المقدس لمريم " Saint-</p> <p>Coeur-De-Marie " تسير من طرف":</p> <p>لوموف "Lemauf "</p> <p>ونائبه السيد: بالزان " Balzon "</p> <p>- القالة:سان سيبريان "Saint Cyprien "</p> <p>تسير من طرف الراهب " روستون " Rostan "</p> <p>- سطيف:سانتونيك "Sainte-Monique "</p> <p>تسير من طرف الراهب: ريفي " Rivet "</p> <p>- قالمة : سان بوسيدوس "Saint-</p> <p>Possidius تسير من طرف الراهب : كارل " Carles "</p>

ويمكن أن نتساءل، بعد هذه الإنجازات التي قام بها الأسقف "دوبوش": هل استطاع أن يكسب قلوب الأهالي ويقضي على الإسلام؟ وهو الذي صرح بعد تعيينه على رأس أسقفية الجزائر بما يلي: «إن وجود الإسلام قد انتهى، وبعد نصف قرن لن يبقى له أثر إلا عند المهمجين، و ستبعث به أوربا إلى الصحاري التي لجأ إليها لينقرض هناك، وهكذا ستستكمل مشروعها الذي بدأت في تنفيذه أثناء الحروب الصليبية»⁽²⁹⁾.

لكن الوقائع التاريخية أثبتت عكس توقعات الأسقف "دوبوش" التي استحالت ضربا من الأمان الكواذب، بعد أن غرق في الديون، وأحدث عجزا في ميزانية الأسقفية أدت به إلى إعلان الاستقالة في 09 ديسمبر 1845، غير أن مقترضيه لم يكفوا عن مطالبته بتسديد ديونه، وعلى إثر ذلك قام البارون "فيالار VIALAR" بتهريره إلى مدينة "طولون" ثم إلى إسبانيا ليتم نقله بعدها إلى فرنسا سنة 1851م، ويستقر أخيرا بمدينة "بورديو" إلى آخر حياته.⁽³⁰⁾

I- التنصير في عهد الأسقف " بافي PAVY " (1846م-1866م) :

بعد رحيل الأسقف "دوبوش" خلفه الأسقف "بافي"⁽³¹⁾. بعد صدور مرسوم بتاريخ 26 فيفري 1846م، هذا الأخير الذي وصل إلى الجزائر بتاريخ 09 جويلية 1946م، وهو الآخر حمل على عاتقه إعادة إحياء النشاط التنصيري من جديد، و لذلك تميزت فترة مجيئه بكثرة المؤسسات المسيحية التي وصلت إلى 29 كنيسة، بالإضافة إلى مؤسسات أخرى ذات طابع تعليمي واجتماعي كالمدارس المسيحية وديار الأيتام وغيرها التي كان يفوق عددها 23 مؤسسة، وهذا يعود إلى الميزانية المالية التي خصصتها الحكومة الفرنسية من أجل بعث النشاط التنصيري، ومن ورائه دعم الكنائس والرهبان ومختلف الجمعيات التنصيرية، حيث تم تخصيص مبلغ مالي تصل قيمته إلى 71029 فرنك سنة 1846م⁽³²⁾.

وخلال فترة هذا الأسقف تم تأسيس المدرسة الإكليريكية الصغرى في مكان القنصلية الفرنسية القديمة "سانت أوجين Sainte Eugène"، ولأن المنصرين كانوا يستغلون الحاجة المادية للسكان لنشر مومهم في قلوب هؤلاء، استغل هذا الأسقف الظروف الصحية للسكان مثل الفترة التي انتشر فيها مرض الكوليرا سنة 1849م، و عرض خدماته الصحية على السكان، ولم يكتف بهذا بل كان يوفر كل الطرق والوسائل من أجل استمالتهم، حيث كان يقوم بإلقاء محاضرات داخل الكاتدرائية، إضافة إلى المراسلات التي كانت تتم بينه وبين بعض

أئمة المساجد مثل ما حصل بينه وبين إمام مسجد عين الحمام بالقبائل الكبرى، هذا إلى جانب اعتماده أسلوب التنصير بالقوة⁽³³⁾.

وفي فترة رئاسته لأسقفية الجزائر قام الجنرال "بيجو" بتعيين جمعية "الجزويت" للإشراف على مركز اليتامي بين عكنون وعين أبا جديدا لهم "بريمول Brumault"، وطلب منه تقديم الدروس المسيحية لهم مقابل الدعم المادي والمعنوي من طرف حكومته⁽³⁴⁾.

كما أولى الأسقف "بافي" عناية خاصة بمنطقة القبائل بعد سنة 1857م، حيث أرسل الأب اليسوعي "كروز Creuzat"، بهدف نشر المسيحية بالمنطقة، من خلال محاولة إثبات المسيحية كاعتقاد قدس لهذه المنطقة، ولم يتوقف عند هذا الحد، حيث أوعز إلى البعثات التنصيرية بالبحث في تاريخ اللهجة البربرية، وما مكن الأب "كروزا" من التقرب من سكان المنطقة معرفته للهجة القبائلية زيادة على إتقانه اللغة العربية⁽³⁵⁾.

ومن إنجازات الأسقف "بافي" الذي أصبح فيما بعد مطرانا (رئيس أساقفة) بناؤه لعدة كنائس على مستوى الجزائر العاصمة منها كنيسة "سان أوغسطين Saint Augustin" سنة 1847م، وكنيسة سيدة النصر "N.D de Victoire" سنة 1850م، وغيرها من الكنائس الأخرى على مستوى قسنطينة مثل كنيسة "أوغسطين" سنة 1854م، كما أقام كنيسة على حصن "سانتا كروز" بوهران سماها كنيسة "الخلاص"، ووضع الحجر الأساس لإنجاز كنيسة "السيدة الإفريقية"⁽³⁶⁾ بأعالي بوزريعة، كما قام بتوسيع كاتدرائية "سان فيليب" (جامع كتشاوة سابقا)، إلى جانب دعوته لمجموعة من المعلمين لدعم المدارس المسيحية، كان أغلبهم من أخوات العقيدة الكاثوليكية سنة 1852م، كما دعم الجمعيات التنصيرية ببعثات إضافية تابعة لجمعية "الجزويت" (اليسوعيين) إلى جانب فتحه لمدارس وملاجئ للأيتام خاصة في منطقة القبائل التي كانت أساساً في المشروع التنصيري⁽³⁷⁾.

ومن الجمعيات التنصيرية التي وفدت في عهد الأسقف "بافي"

I - جمعية إخوان العقيدة المسيحية "les Frères de la doctrine

chrétiennes"⁽³⁸⁾: سمح لأعضاء هذه الجمعية في سنة 1853م بإنشاء مدارس في كل من المدن الجزائرية التالية: الجزائر العاصمة، البلدة، وهران، سيدي بلعباس، قسنطينة.

2- إخوان المدارس المسيحية "les Frères des écoles chrétiennes"⁽³⁹⁾:

هذه الجمعية وفدت إلى الجزائر بطلب من الأسقف "بافي" بعد صدور مرسوم 24 جويلية 1852م، ومنذ سنة 1854م قامت بفتح وتسيير حوالي 20 مدرسة تعليمية في كل من: الجزائر العاصمة، وهران، البليدة، قسنطينة، سيدي بلعباس، مستغانم، مليانة، سكيكدة وعنابة، كما أشرفت على ملاحئ الأيتام في كل من: مركز بن عكنون والحراش سنة 1868م، إلا أنها منعت من تقديم التعليم في المدارس بعد صدور قانون المنع سنة 1888م.

3- أخوات الإحسان "les sœurs du bon secours"⁽⁴⁰⁾: تم استدعاء هذه

الجمعية من طرف الأسقف "بافي" حيث وصل أعضاؤها إلى وهران بتاريخ 22 أفريل 1855م، وتجمعوا بمستغانم سنة 1859 ومن الخورنيات التي أنشأها هذه الجمعية: خورنيتان بوهران كانتا تضمان 45 راهبا، وأخرى في كل من مستغانم، سيدي بلعباس، غليزان، معسكر، تلمسان، لكن نظرا لنقص الإمكانيات المادية لهذه الجمعيات تم غلق خورنية تلمسان ومعسكر، وفي سنة 1871م قرر المجلس البلدي لوهران منح ميزانية سنوية لهذه الجمعية كما دعاهم الأسقف "بافي" للاستقرار بالجزائر العاصمة برئاسة السيدة "مادلين Madeleine" وكان مقرهم بشارع السباكة، وفي 29 جوان 1861م استقر ثلاثة أعضاء من هذه الجمعية بقسنطينة بشارع "صفار" بالقرب من الكنيسة بالشارع الثالث، واتفقت البلدية مع إدارة الأملاك بكراء مقر لها بسعر رمزي، واستقرت بهذا المقر حوالي 18 سنة. كما نشط هؤلاء في إسعاف المرضى في مركز واد العثمانية بالقرب من قسنطينة، وكذلك بإحدى الخورنيات القريبة من بجاية، كما قدمت خدمات طبية بمركز "سيدي مسيد" وبعد طلب من رئيس بلدية قسنطينة، وبعد صدور قانون منع نشاط الجمعيات المسيحية سنة 1904م غادرت هذه الجمعية بصفة نهائية الجزائر.

وما يلاحظ من خلال العرض التاريخي للجمعيات التنصيرية التي وفدت في عهد الأسقف "بافي" أن عددها قليل إذا ما قورنت بالفترة التي سبقتها، وقد يعود هذا إلى عدة اعتبارات منها: دعوة أعضاء جدد من الجمعيات التي وفدت في عهد الأسقف السابق، بالإضافة إلى وجود مدرسة خاصة بتكوين المنصرين بالقبة "السمنار الكبير". كما أن الجمعيات التنصيرية نشرت فروعها في أنحاء القطر الجزائري، وهو ما أدى إلى الاستغناء عن خدمات أعضاء الجمعيات الموفدة من الخارج.

ونظرا للتكاليف المادية التي يتطلبها تأسيس مؤسسات مسيحية جديدة، قام الأسقف "بافي" بطلب مساعدات مالية من البابا في روما، كما اتصل بكل الجمعيات المسيحية لتقديم الدعم، وذلك بهدف مساندة المؤسسات المسيحية بالجزائر بعد أن تزايد عددها خلال عهده، وأصبحت الحكومة الفرنسية غير قادرة على استيعاب الطلبات المالية لتسييرها، غير أن هذه المساعي توجت ببناء كنائس جديدة، وتوسيع مجال النشاط التنصيري إلى أبعد حد ممكن، من خلال العدد الكبير للخورنيات التي أنشأها الأسقف "بافي" خاصة في الفترة ما بين (1850م- 1858م)، وكانت على الشكل التالي⁽⁴¹⁾:

مقاطعة الجزائر العاصمة

<p>- روفيجو "Rovigo" 1854م - زرالدة "Ziralda" 1854م - بوزريعة "bouzaréah" ... 1854م - خرايسية "Crescia" 1854م - بوغار "Boghar" 1855م - آفريل "Affreville" 1855م - عين طاية "Ain-taya" 1855م - دالماتي "Dalmatie" 1856م - عين سلطان "Ain-soltane" 1856م - حمر العين "Ameur-el-ein" 1856م - الأغواط "Laghaouat" 1856م - البيت المربعة(الخرائش) "Maison carrée" 1857م - واد العلايق "Oued-el-Alleg" 1857م - سانت أوجين "Saint-eugène" 1857م - صومعة "Souma" 1857م</p>	<p>- شارع بيجو "BUGEAUD" 1851م - بونتيبا "Pontéba" 1851م - نوفي "Novi" 1851م - القصبة "Casbah" 1852م - الفندق "Fondouk" 1852م - بني مراد "Beni-Méred" 1852م - الأربعاء "l'Arba" 1852م - الشراقة "Chéraga" 1852م - موزاية "Mouzaia" 1852م - دواودة "Douaouda" 1852م - برج الكيفان حاليا "Fort- de- l'eau" 1852م - بئر مراد رايس " Birmandreis" 1852م - مصطفى "MUSTAPHA" 1853م - عين البنيان "Vesoul-Benian" .. 1853م - سان فرديناند "Saint-ferdinand" ... 1854م - لودي "Lodi" 1854م - ثنية الحد "Téni-el-haad" 1854م - بومدفع "Bou-madfa" 1854م</p>
<p>مقاطعة وهران</p>	
<p>- سور كول ميتو "Sour-koul-mitou" ... 1854م - السانية "Sénia" 1855م - عين تيموشنت "Ain-temouchen" .. 1855م</p>	<p>- سيدي بلعباس 1851م - كليبار "Kléber" 1851م - سان لويس "Saint louis" 1851م - أبوقير "Aboukir" 1852م</p>

<p>- بریا " Bréa " 1855م</p> <p>- بلاد تواریا "Blad-touaria" 1855م</p> <p>- سيدي لحسن "Sidi lassen" 1855م</p> <p>- عين نويسي "Ain nouissy" 1857م</p> <p>- أركول "Arcole" 1857م</p> <p>- تليلات " Tlélat " 1857م</p> <p>- عين الترك "Ain-el-turk" 1857م</p> <p>- سعيدة " Saida " 1857م</p>	<p>- ستيدية " Stidia " 1852م</p> <p>- مازگران "Mazagran" 1852م</p> <p>- فالمي " Valmy " 1852م</p> <p>- تونين " Tounin " 1853م</p> <p>- حاسي يونيف "Hacibou-nif" 1853م</p> <p>- حناية "Hannaya" 1853م</p> <p>- بوتليليس "Bou-tlélis" 1854م</p> <p>- سانت ليوني "Sainte-lionie" 1854م</p>
---	---

مقاطعة قسنطينة

<p>- سان شارل "Saint charles" 1855م</p> <p>- الخروب " Kroubs " 1856م</p> <p>- نشماية "Nechmeya" 1856م</p> <p>- الحامة " Hamma " 1856م</p> <p>- محوان " Mahouan " 1856م</p> <p>- قلعة بوسبا " Guelea-bou-sba " 1857م</p> <p>- سوق هراس "Souk-hras" 1858م</p> <p>- عين البيضاء "Ain-beida" 1858م</p> <p>- برج بوغريريج "Borj-bou-arréridj" 1858م</p> <p>- فيلفيلة " Filfila " 1858م</p> <p>- الأوراسية " El-ouricia " 1858م</p> <p>- كاف أم الطبول "Kef-oum-téboul" 1858م</p>	<p>- روبرفيل "Robertville" 1851م</p> <p>- بارال "Barral" 1851م</p> <p>- ميليسيمو "Millésimo" 1851م</p> <p>- كوندي(سمندو) "Cande(smendo)" 1852م</p> <p>- صغير "Petit" 1852م</p> <p>- سطور "Stora" 1852م</p> <p>- فالي " Valée " 1852م</p> <p>- لومباز " Lombése " 1853م</p> <p>- بسكرة " Biskra " 1854م</p> <p>- بيجو " BUGEAUD " 1854م</p> <p>- بونتيافر "Penthievre" 1855م</p>
---	---

أما الخورنيات التي أسسها الأسقف "بافي" خلال الفترة الممتدة ما بين (1859م- 1866م)، فهي توضح مدى دعم السلطة الفرنسية للكنسية، وهو ما يبرزه العدد الكبير للخورنيات التي أسست في هذه الفترة، التي منها ما يلي: (42)

مقاطعة الجزائر العاصمة	
<ul style="list-style-type: none"> - بئر غبالو "Bir-rabalou" 1863م - بابا حسن "Baba hassan" 1863م - شفة "Chiffa" 1863م - الرغاية "Reghaia" 1863م - سحاولة "Saoula" 1864م - العاشور "El-achour" 1864م - ريفي "Rivet" 1864م - سطاوالي "Staoueli" 1865م - بوينان "Bouinan" 1865م 	<ul style="list-style-type: none"> - تيزي وزو "Tizi-ouzou" 1859م - ذراع الميزان "Dra-el-mizan" 1859م - أولاد فايث "Ouled-fayet" 1859م - فوكة "Fouka" 1859م - غيوفيل "Guyot ville" 1859م - الجلفة "Djelfa" 1860م - ديري "Depperré" 1860م - حصن نابليون Fort- 1861م - "Napoléon" 1861م
مقاطعة وهران	
<ul style="list-style-type: none"> - جسر شلف "Port de chélif" 1861م - لالة مغنية "Lala-marnia" 1863م - بوكنيفيس "Bou-kanifis" 1863م - بيرغو "Perrégaux" 1864م عين - الأربعاء "Ain-el-arba" 1864م - بوسفر "Bousfer" 1864م - بورقيرات "Bourguirat" 1866م 	<ul style="list-style-type: none"> - غار رويان "Gar-rouban" 1859م - لورمال "Laurmel" 1859م - غليزان "Relizane" 1859م - سعيدة "Saida" 1859م - أولاد الحمام "Ouled-el- 1859م - hamam" 1859م - عمي موسى "Ammi moussa" 1860م - نيقريي "Nigrier" 1860م - سيدي إبراهيم "Sidi-Brahim" 1860م

مقاطعة قسنطينة

أونشير سعيد "Enchirsaid".....1863م	- ديزارفيل "Duzerville" 1859م
- أولاد رامون "Ouledramon"..... 1863م	- خلفون "Kalfoun" 1859م
- بوسعادة "Bou saada" 1863م	- غاسطو "Gastu" 1859م
- كولو "Collo" 1863م	- ديفيفي "Duvivier".....1861م
- سانت آرنو "Saint arnaud" 1866م	- كدية عنابة "Faubourg de bone".....1862م
	- واد العثمانية "Oued-otéménia".... 1862م

ومن خلال النشاط التنصيري الواسع من طرف الأسقف "باقي" يمكن طرح السؤال التالي: هل حقق هذا النشاط النتائج الكافية؟ وهو الذي كان يرى أنه من واجبه محاربة القرآن، وضرورة تنصير المسلمين الجزائريين، لكي تتضح الفكرة للمستعمرين أن احتلال الأرض لا يكفي، وأنه يجب محاربة دين المسلمين وتحويلهم إلى نصارى لكي تتحول الجزائر المسلمة إلى أرض فرنسية مسيحية، غير أن الأقدار تشاء عكس ما تمناه هذا الأسقف ويتوفاه الأجل في يوم 16 نوفمبر 1866م، ليخلفه الكاردينال "لافيجري LAVIGERIE" الذي حمل على عاتقه سياسة تنصيرية نحو الجزائريين أقل ما يقال عنها إنها رهيبة في وسائلها وفي أهدافها.

II- التنصير في عهد الكاردينال لافيجري (1866م-1892م):

تزامنت فترة مجيء الكاردينال "لافيجري"⁽⁴³⁾ على رأس أسقفية الجزائر مع المجاعة التي شملت بعض مناطق الجزائر في الفترة ما بين (1866م-1868م)، فاغتنم "لافيجري" هذه الفرصة ليجمع عددا من اليتامى الجزائريين بموافقة السلطة العسكرية، وطلب مساعدات مالية من بعض المواطنين الفرنسيين وبعض المؤسسات المدنية والعسكرية، من أجل بناء ملاجئ للأيتام مقابل تربيتهم تربية مسيحية غير أن هذا المشروع قُبل على مضض، خاصة من طرف الحاكم العام "ماك ماهون Mac Mahon" تخوفا من غضب الأهالي ومقاومتهم له، وبلغ عدد اليتامى الذين تم نقلهم إلى هذه الملاجئ 1753 طفلا، وبعدها قرر "لافيجري" بناء مراكز فلاحية لليتامى المنصرين حيث اشترى سنة 1869م بعض الأراضي في وادي شلف لينشئ قريتين وشيد سنة 1872م قرية سماها "سان سييريان" سيدي بوعبيدة حاليا تخليدا لأسقف

قرطاجة، وقد يعود اختياره لهذا المكان إلى وجود آثار لكنيسة قديمة، حيث أقامت بهذه القرية 26 أسرة بعد أن قام بتزويج اليتامى الذين بلغوا سن الرشد، كما منح لكل أسرة 20 هكتارا من الأراضي الصالحة للزراعة ومتملا وكذا دعما ماليا، بالإضافة إلى مواد ووسائل الزراعة، وبالقرب من هذه القرية قام بإنشاء كنيسة، أما بالنسبة للأراضي الزراعية فلم تكن ملكا خاصا لهم، بل يدفعون ثمنا رمزيا كإيجار، والهدف من هذه العملية هو استمرار خضوع الفلاحين المنصرين لسلطة الكنيسة⁽⁴⁴⁾

وإلى جانب هذه القرية قام بتأسيس قرية ثانية، سماها "سانت مونيك" تخليدا لأم القديس "أوغسطين" والتي سكنتها 24 عائلة، ومن العائلات التي أقامت بها "فرنسوا بن عيسى" و"جان شريف" اللتان جيء بهما من "سانت أوجين" بالقرب من بوزريعة، كما أقامت بجانب هذه القرية "الأخوات البيض" وذلك لتقديم الخدمة في مجال التعليم والطب، ولم يتوقف نشاط لافيغري بالمنطقة عند هذا الحد، بل قام بتشييد مستشفى بالقرب من القريتين وسماه "سانت إيزابيت" سنة 1876م⁽⁴⁵⁾

كما حاول "لافيغري" إنشاء قرى مسيحية أخرى لكنه لم يتمكن من تطبيق مشروعه هذا بسبب معارضة الإدارة الفرنسية خاصة من طرف الحاكم العام "ماك ماهون" بالرغم من تقديمه مساعدات مالية له في مشروعه بوادي شلف، وتعود الأسباب بالدرجة الأولى إلى الخوف من نشوب صراع ديني في الجزائر إضافة إلى عجز الجيش عن تقديم الحماية لكل القرى المسيحية، وأوقف مساعداته المالية سنة 1874 بعد أن وصلت إلى 950 ألف فرنك فرنسي خلال السنوات السابقة⁽⁴⁶⁾.

كما ركز الكاردينال "لافيغري" جهوده لتنصير منطقة القبائل. وقد يعود هذا الاهتمام إلى الأوضاع الاقتصادية المتدهورة، والموقع الجغرافي الذي يبعد عن مراكز التنمية، بالإضافة إلى دعم العسكريين المادي والمعنوي للبعثات التنصيرية بالمنطقة، لأن مشروع التنصير في فترة "لافيغري" تكمن قوته في التركيز على الأوضاع الاجتماعية المتردية، خاصة في فترة حكم الحاكم العام "دوغيدون DeGueydon" (1871م-1873م)، كما قام "لافيغري" بتأسيس جمعية سيدتنا الإفريقية سنة 1872م والتي نشطت خاصة في منطقة القبائل. وللوصول إلى نتائج إيجابية كان يرى ضرورة الاستعانة بشروط حياة الأهالي، من اللباس البسيط كالبرنوس مثلا وضرورة إتقان اللهجة البربرية وذلك للتأثير أكثر على المجتمع القبائلي، كما قام بجمع

اليتامى لإغاثتهم، وهي الطريقة نفسها التي طبقتها في منطقة وادي شلف، رغم مقاومة الأهالي لهذا المشروع⁽⁴⁷⁾.

ومن الوسائل الأخرى التي سخرها الكاردينال "لافيجري" من أجل محاولة إنجاح مشروعه التنصيري، أن قام بتأسيس مستشفى "سانت أوجين" في "بني منقلات" بناحية "عين الحمام" بالتعاون مع الحاكم العام سنة 1874م، كما قام سنة 1877م بشراء أراضي في قرية "تاويرت عبد الله" بناحية "واضية" وذلك لتكون مكانا لاستقرار المنصرين، وعليها أيضا قام ببناء مركز للأخوات البيض سنة 1878م اللاتي جيء بهن من مركز سيدتنا الإفريقية واللاتي عملن على تقديم خدمات لبنات الأهالي في مجال التعليم كتعليم الخياطة والطرز والأعمال المنزلية، وبعدها أشرف الكاردينال "لافيجري" على عملية تزويج اليتامى تحت طقوس مسيحية⁽⁴⁸⁾. وكمحاولة لخلق عائلات مسيحية وحسب "بوتي" فإن هذا الزواج كان تحت الرعاية المباشرة للكنيسة⁽⁴⁹⁾. كما لم يتوقف نشاط الكاردينال عند هذا الحد الجغرافي، بل امتد مشروعه التنصيري إلى مناطق الجنوب حيث قام بتأسيس حركة تنصيرية مسلحة هي "جمعية إخوان الصحراء". بمنطقة بسكرة سنة 1891م وزعم أنها تهدف إلى محاربة العبيد في إفريقيا في ظاهرها، لكن الحقيقة من وراء ذلك هي حماية المنصرين والحفاظ على حركة التنصير بقوة السلاح، خاصة بعد أن قام أهل الجنوب بقتل جماعة من المنصرين الذين أسأؤوا للدين الإسلامي واستفزؤهم في عقيدتهم كالأب "بولمي" والأب "مينوري" والأب "بوشو" والهدف الآخر من إنشاء هذه الحركة هو استكشاف الصحراء وتسهيل وصول العسكريين لسط النفوذ الفرنسي في أعماق الصحراء⁽⁵⁰⁾.

كما تميز عهده بفرض شروط قاسية تجاه أداء فريضة الحج، رغم الاتفاق الرسمي سنة 1830م الذي يسمح بحرية ممارسة الدين الإسلامي، فتميزت المرحلة الأولى من 1830م إلى غاية 1871م بإجراءات خفيفة نوعا ما حيث كان يسمح بزيارة الأماكن المقدسة، لكن ابتداء من سنة 1871م قامت السلطات الاستعمارية بوضع إجراءات صارمة للغاية، بدأت بصعوبة الحصول على ترخيصات لتصل إلى مرحلة منع فيها أداء فريضة الحج مثل المنشور الذي صدر بتاريخ 06 جويلية 1880م الذي يمنع الجزائريين من السفر لأداء فريضة الحج، ويعود سبب ذلك حسب ما ذكره "كولو Collot" إلى: «تجنب اتصال الحاج بالخرضين اللاجئين في البلدان الإسلامية»⁽⁵¹⁾.

ومع مرور الوقت تم منع فريضة الحج نهائيًا تحت ذريعة الوباء أو الأزمات الدولية ما بين (1830م-1890م) ويصف "كولو" هذا الوضع بقوله: «أن السلطات الفرنسية قادت الأهالي إلى التنازل عن التقاليد الأساسية المضرة بالتسامح الديني»⁽⁵²⁾. ومهما يكن فإن هذه السياسة تدخل ضمن الأهداف المسطرة في مشروع التنصير.

ورغم كل هذه الجهود والإجراءات المادية والمعنوية لم يستطع الكاردينال "لافيجري" تحقيق آماله المتمثلة في تنصير الجزائريين، وهو الذي كان يرى في مشروع التنصير استمرارًا للوجود الفرنسي في الجزائر وهو ما يظهر من خلال تصريحه التالي: «يجب أن نعيد إحياء هذا الشعب والقضاء على القرآن الذي ارتبط به منذ زمن بعيد بكل الوسائل الممكنة، ومن جهة أخرى يجب تلقين أبنائه مشاعر ومبادئ جديدة، كما يجب على فرنسا أن تقدم -إذا لم أخطئ- أو تسمح بتقدم الإنجيل، أو تعمل على طرد هذا الشعب إلى الصحراء، بعيدا عن العالم المتحضر، وبغير هذا كل شيء يصبح وسيلة لا تفي بالغرض»⁽⁵³⁾.

نتائج مشروع التنصير:

رغم كل الوسائل المادية والمعنوية التي سخرتها السلطة الفرنسية خلال الفترة الممتدة ما بين 1830-1892 والتي اتخذت أشكالًا متعددة: التعليم في المدارس، التطبيب في المستشفيات، بناء الكنائس وتقديم الدعم المالي والمعنوي لمختلف الجمعيات التنصيرية التي حملت على عاتقها تنظيم وتوجيه مشروع التنصير والفرنسة عبر مختلف المناطق من المناطق المستعمرة من الجزائر خاصة في فترة الكاردينال لافيجري (1867-1892) التي عرفت نشاطًا واسعًا في عهده، غير أن هذه الجهود مجتمعة لم تحقق النتائج كاملة ويعود ذلك إلى عدة اعتبارات منها:

- طبيعة المجتمع الجزائري وتكوينه الاجتماعي والديني، بالإضافة إلى دور المؤسسات الإسلامية كالزوايا والمساجد والكتاتيب القرآنية وهو ما لم يسمح للمنصرين من تحقيق أهدافهم وما حققوه من نتائج لا يمثل سوى بعض الأفراد، حيث استغلت هذه الجمعيات التنصيرية الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للجزائريين التي فرضها الاستعمار من خلال هب الأراضي، والقضاء على الممتلكات الخاصة والعامة، كما أن حالات التنصر كانت تعود في أصلها إلى محاولة الفرد الجزائري تجاوز الوضع الاجتماعي المزري، ولا تعود إلى قناعة دينية ثابتة إلا في حالات قليلة جدا حيث تذكر المؤرخة الفرنسية "إيفون ثورين" أسباب فشل مشروع التنصير في قولها: "بدأ الصراع يقوم عندما بدأ المحتل يفرض لسانه

وتفكيره وأسلوبه في الحياة مستعملا المدرسة والمستشفى والمعلم والطبيب ليحطم آخر قلعة التجأ إليها المسلمون وهو الدين". كما تضيف أن: "الاستعمار الذي قضى سنوات يحدث المدارس فلا يجد لها تلاميذ وينشئ المستشفيات فلا يتردد إليها المرضى ويريد أن يدرس الحالة الاجتماعية فلا يجد من يطلعه، وتعددت في وجه المحتل الصعوبات وكثرت وأصبح الدين الإسلامي الخفيف كالإسمنت المسلح يحمي من التفكك والذويان والاندماج⁽⁵⁴⁾ .

وفي الأخير يمكن القول أن الجهود الاستعمارية التي كانت تصب في دعم حركة التنصير في الجزائر خلال الفترة الممتدة من (1830-1892م)، اصطدمت بواقع تمثل في نشاط المؤسسات الإسلامية التي حافظت على التماسك الاجتماعي والديني أمام نشاط الإرساليات التنصيرية التي كانت تمثل وسيلة من وسائل الاستعمار والتي عملت كل ما في وسعها لاستهداف الأسس الدينية (القرآن، اللغة العربية) للمجتمع الجزائري خلال هذه المرحلة من مراحل الاستعمار الفرنسي للجزائر.

– الهوامش:

- (1)Rinn (louis): **marabouts et khouans**, édition Jourdan, 1884, pp519-520
(2)Tournier (ch.j): **la conquête religieuse de l'Algérie (1830-1845)**, Paris, 1930, p57.
(3)Emerit marcel: «la lutte entre les généraux et les prêtres au débit de l'Algérie Française», **RevueAfricaine**, vol15, 1953, pp 67-68.
(4) أسست هذه الجمعية سنة 1625م، من طرف القديس "فانسان دو بول" (1581-1660)، وتم الاعتراف بها رسميا من طرف البابا "ايربان العاشر" سنة 1633م بباريس، وبعد تحويل المقر الصلي سنة 1832م إلى شارع "سان لازار" أصبح الآباء يطلقون على هذه الجمعية اسم الزاريون، انظر:
Vachet (A) : **les anciens couvent de lyon**, paris, 1895, p 117.
(5) ولدت سنة 1797م بمدينة "غناك Gaillac" وفي سنة 1832م اسست في نفس المدينة جمعية تنصيرية: أخوات دو سان جوزيف دولابارييون" دعيت من طرف أخيها" فيلار VILLAR" بعدما كانت تنشط بأسقفية "ألبي ALBI" (جنوب شرق فرنسا)، وجاءت إلى الجزائر وقامت بتأسيس جمعية أخوات" سان جوزيف": للمزيد من المعلومات انظر :

Emerit marcel,IBID,67

- (6) هو رجل دين من طبقة فقيرة بمدينة "بوردو BORDEAUX" ، متحصل على ليسانس في الحقوق ، تلقى رعاية في المدرسة الإكليريكية " في " بوردو" استقبله البابا بروما في 08 ديسمبر 1838م وعين رسميا أسقفا

بالجزائر في 25 أوت 1838م، انظر EMERIT marcel,op.cit,67

(7) انظر:

Bernard (D) : **Le silence des moines les trappistes au 19 siècle, France, Algérie,**

Syrie, Paris, 1998, p 17.

(8) Lessourd (paul), **BUGEAUD, le soldatlaboureur**, éditions du loisirs, Paris, 1943, pp123-124.

(9) Godart (l'abbe-leon): **la nouvelle église d'Afrique**, Paris, 1858, pp24-25.

(10) كان أستاذا للغتين العبرية والكلدانية بكلية اللاهوت بباريس، زار مدينة تلمسان عدة مرات وخصها بعض التأليف عن تاريخها وملوكها: للمزيد من المعلومات يمكن الرجوع إلى: سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج6، ص115.

(11) بقطاش خديجة: «الاستعمار الديني الفلاحي في الجزائر»، **مجلة الثقافة**، العدد68، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص53.

(12) أسسها القديس أغناطيوس لوايولا (1491م- 1556م) في روما سنة 1540م، هي منظمة رهبانية، تنشط في مجالات متعددة كالعليم، التطبيب، التكفل الاجتماعي... الخ، انظر Bernard (D) : op cit, p 51.

(13) يعتبر من المبشرين الأوائل الذين استقروا بالجزائر، حيث كان ينتقل بين المناطق المختلة، غادر الجزائر بعد صدور قانون منع نشاط التنصير، توفي في 08 نوفمبر 1884، انظر:

Rivière (J) : **vie et souvenirs**, le puy, France, 1885, p 42.

(14) ويسمح هذا القانون للجمعيات التنصيرية بحرية اختيار البرامج كوسيلة من وسائل التبشير من خلال استعمال نصوص الإنجيل في تعليمهم ويوظفونها في تعليمهم، ويوظفونها في دروس وفروض التلاميذ.

(15) Reppetucci (chanoine): **l'Algérie chrétienne (1830-1930), Esquisse historique**, librairie Notre Dame, p 60-70.

(16) أسست سنة 1716م بمدينة "تول" لتعليم البنات الأيتام من طرف "جون باتيستفاتلو Jean Baptiste vatlot" بكاتدرائية "تول" وأسس نظام تربوي لهذه المؤسسة التعليمية، كما فتح مدرسة أخرى لتكوين المدرسات وبعد الثورة الفرنسية حول مقرها إلى مدينة "نونسي" سنة 1821م، ولها عدة فروع في بلجيكا، لوكسومبورغ، كوديفوار، كونغو، الجزائر. انظر:

Xavier (de M) : **Dictionnaire du monde religieux dans la France contemporaine**, institut d'histoire du christianisme, paris, s.d, p 239.

(17) Ibid, p 72- 79.

(18) تم تأسيسها بتاريخ 31 ديسمبر 1849م، من طرف السيدة "جوزيف فيتسباخ"، في مدينة "كيباك Québec" موجهة للنساء. انظر: xavier (de M), op cit, p 239.

(19) Ibid., p 96.

Repeticci (p): op.cit, p72-79.

(20) هي جمعية كاثوليكية نسوية، أسست في فرنسا سنة 1849م، من طرف الأخت "جون غيلياك Jean gailhac" (1802 - 1890) و"أبولوني بيلسي Appollonie péliissier. انظر xavier (de M), op cit, p 330.

(21) عبد الحميد زوزو: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1900)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 2007، ص242.

(22) تم الترخيص لتأسيس هذه الجمعية بأمر ملكي في 23 جوان 1823م، ومرسوم آخر صدر بتاريخ 03 أفريل 1843م، سمح لها بالنشاط في المستعمرات الفرنسية الإفريقية، بدأت نشاطها ب 39 مؤسسة و 45 ملحقة، تم غلق هذه الجمعية سنة 1901م.

(23) عبد الحميد زوزو: المرجع السابق، ص242.

(24) محمد الطاهر وعلي: التعليم التبشيري في الجزائر من (1830م-1904م)، دراسة تاريخية تحليلية، مطبعة دحلح، الجزائر، 1997م، ص 41.

(25) Emerit (marcel): op.cit.p66.

(26) Tournier: op.cit, pp230 -231.

(27) Ibid, pp164 -165.

(28) Ibid, pp 148-149.

(29) Julien(Ch.A): op.cit, p262

(30) Emrit marcel: op.cit, pp 95-96.

(31) لويس أنطوان بافي "Louis Antoine Pavy" : ولد بتاريخ 18 مارس 1805م بمدينة "روان Rouane"، كان أسقفا بمدينةليون، واشتغل أستاذا في التاريخ والتربية التبشيرية بجامعة "ليون" سنة 1838م، ثم أصبح عميدا لهذه الجامعة (انظر: سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ص115).

(32) Godart (l'abbe-leon): op.cit, p33.

(33) Ibid, p 34.

(34) Baudicour (louis): colonisation de l'Algérie, Paris, 1856, pp 291-292.

(35) للمزيد من المعلومات حول الإنجازات الأسقف "بافي" يمكن الرجوع إلى سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ص 115 وما بعدها.

(36) تم تأسيس هذه الكنيسة بتاريخ 31 ماي 1866م، من طرف الأسقف « pavy »، وبعد وفاته في 16 نوفمبر 1866م، أضاف لها الكاردينال "لافيجري" بعض الإنجازات وأتم هذا العمل بتاريخ 04 ماي 1873م، انظر:

Augustin (F) : la Basilique de notre Dame d'Afrique, paris, 1948, p p 05 – 07.

(37) نفسه، ص 116.

38 محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص37

39Repeticci: op.cit,p140

40Ibid,pp150-151

41Ibid,pp129-130

42Ibid,p155-157

43شارل لا فيجري "Charles Lavigerie" ولد في مدينة "بايون" سنة 1825م، وصل إلى الجزائر أثناء
الجماعة التي حلتبالجزائر، فاستغل هذا الظرف لتنصير الجزائريين ما بين 1868م-1892م وعرفت فترة رئاسته
الأسقفية قمة التنصير في الجزائر وحتى في إفريقيا، حتى أنه لقب بأبي التنصير— توفي " لافيجري" بالجزائر يوم
26 نوفمبر 1892م، عن عمر 67 سنة (أنظر : سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ص115).

44Klein (Félix):le Cardinal lavigerie et ses œuvres en Algérie, Paris, 1890, p114.

45Ibid, p127

46Ageron(CH,R):les Algériens musulmansEt La France,(1871-1919)
,Tome1,P.U.F Paris, P302

47Amrouche (fatima): **Histoire de ma vie**, Paris, 1970, p46.

48Tiquet (jean):**une expérience des petites colonisations, les colons chrétiens du
cardinal lavigerie**, Alger, 1936, p165-167

49Pottier (René):**le cardinal Lavigerie, apôtre et civilisateur**, Paris, 1947, p95

50سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ص121.

51Collot (Claude): **les institutions de l'Algérie pendant la période coloniale
(1830-1960)**, O.P.U, Alger, 1987, p310.

52IBID

53Kaddache (Mahfoud) et Sari (Djillali):**l'Algérie dans l'histoire**, O.P.U-E.N.A.D,
1989, p243.

(54) يسلي أمقران: **الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل (1920 – 1945)**، بحث مقدم لنيل دبلوم
الدراسات المعمقة، إشراف الدكتور أبو عمران الشيخ، الجزائر، 1983، ص 109.